

افتتاحية العدد:

بقلم الدكتور علي مهدي زيتون

رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية، ورئيس مجلس الأمناء في جامعة المعارف، ورئيس الملتقى الثقافي الجامعي، والمشرف العام على مجلة وميض الفكر للبحوث. يعيش مجتمعنا العربي على وجه العموم، ومجتمعنا اللبناني، على وجه الخصوص، أزمة منقلبة من كل الضوابط.

والقاعدة النموذجية، في مثل هذه الحال، تقتضي أن ينبري المثقفون الذين تعيش بلدانهم مثل تلك الأزمات إلى قراءة المشكلات التي يعاني منها المجتمع والتحديات التي يواجهها قصد فهمها ووضع الحلول لها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل قام مثقفو مجتمعنا بمثل هذه القراءة؟

ويستدعي تقلت الأزمات التي يعاني منها المجتمع سؤالاً أكثر إيلاماً: هل يوجد مثقفون فاعلون في مجتمعنا؟ صحيح أن ردة الفعل الناجحة والموفقة جداً على أم الأزمات في فلسطين ولبنان وغيرهما من البلدان قد أثبتت أن التفوق على المتفوق ممكن، وأن إشارات الانتصار واضحة المعالم، إلا أن ذلك غير كاف.

استطاعت حركة رفض الحضور الاستعماري غير المباشر في بلداننا في القرن الماضي أن تخرج المستعمرين وجنودهم منها، إلا أن حضوره بشكل غير مباشر ما زال قائماً وفاعلاً حتى يومنا هذا .

وتكاد تقول إنه ما زال يمسك بزمام الأمور فيها، وبشكل عائقاً محورياً في مواجهة من يتوخى التخلص من أم الأزمات، والسبب العميق في ذلك، أن مجتمعنا لم يستطع أن ينتج ثقافة تضع إصبعها على الأزمات والمشكلات فهما ومعالجة.

أسئلة مَرّة تطرح نفسها موزعة على معظم حقول المعرفة بسبب عدم تشكل الأكاديميات المتخصصة التي يمكنها إيجاد ثقافة عامة تمثل خطة عمل يؤمن بحقيقتها جميع أفراد المجتمع، فيصبح كل فرد، ومن موقعه الاجتماعي والثقافي والسياسي والعلمي عاملاً تغييرياً فاعلاً .

وإذا كان قيام مثل تلك الأكاديميات أمراً صعباً، إذا لم نقل مستبعداً في مثل ظروفنا، فإن المؤسسات الثقافية القائمة، وعلى رأسها المجالات، تصبح مسؤولة عن العمل لإيجاد الثقافة المطلوبة.

هذه المجالات يجب أن تفتح العيون مرشدة إياها إلى سواء السبيل، خصوصاً إذا كان القائم على هذه المجلة أو تلك مثقفاً ممسكاً بأساسيات الحقول المعرفية.

والحقيقة أن العديد من المجالات الموجودة فوق ساحتنا محكوم بمركبات التفوق التي يعاني منها القائمون عليها: إذ تصبح قضية المجلة العميقة إبراز شخصية ذلك القائم لا إبراز القضايا التي تحتاج إلى معالجة. ومجلتنا «مجلة وميض الفكر» لم تختار اسمها بشكل ارتجالي أو كانت تبتغي منه بعد زخرفياً تزيينها، فالمجتمع الذي يحتاج إلى إنتاج ثقافة تعالج أزماته وقضاياها، هو بحاجة أولاً وقبل كل شيء إلى الوميض، وحسبه ذلك، لأن القائمين على هذه المجلة لا يستسهلون المهمة المنوطة بهم، بل يرون أن الوصول دونه جهود كبيرة يجب أن تبذل، تبدأ بإنتاج الوميض وصولاً إلى الفكر وتجلياته الوضاعة.

هذا همّ مجلتنا، ونتمنى أن توفق بالوصول إلى جادة الفكر المنير الذي يحدد الأوجاع والآلام ويصف لها الدواء.